



بوسع المرء أن يحصي عشرات من الفرص الهامة في حياته التي ذهبت ولن تعود إلى يوم القيمة، منها ما قد رسمت خطأً جديداً في حياته حين ندم عليها، ومنها ما لم تجاوز حدود الندم القلبي والهم النفسي .

ويهون الأمر حين يتعلق بأمور الدنيا، ولو أن الأمة الإسلامية نظرت بحاجة لكل ناهض ورائد لإعادة مجد غائب - غاب - حين تعاونت الريادتان الدينية والمعيشية للأمة الإسلامية في أبهى عصور الانبعاث الإسلامي الحضاري، كما وأن لا انفصام بين هذا وذاك في معنى الإسلام الكامل الرحيب، غير أن المقصود هنا، هو مسائل الشعائر والنسك، والتي قد يظن المسلم أنه قادر على تعويضها إذا ما ذهبـتـ، ثم يعاودـ إلىـ حقيقةـ العـمرـ مـكتـشـفـاـًـ أنهاـ قدـ ذـهـبـتـ إلىـ غـيرـ رـجـعـةـ،ـ حتىـ ماـ قدـ يـسـتـصـغـرـهـ بعضـناـ فيـ صـلـاـةـ ظـهـرـ أوـ صـلـاـةـ عـصـرـ استـبـدـتـ بـالـمـرـءـ فـيـهاـ قـلـةـ الـخـشـوـعـ،ـ وـهـيـ فـرـيـضـةـ،ـ قدـ تـمـكـنـ نـافـلـةـ مـنـ جـبـرـهـ أوـ يـعـتـيرـهـ ماـ اـعـتـرـىـ الـفـرـيـضـةـ،ـ فـمـثـلـ هـذـهـ فـرـصـ لـتـعـوـضـ،ـ وـغـيرـهـ كـثـيرـ،ـ إـلـاـ أـنـ بـعـضـاـ مـنـ تـلـكـ الـفـرـصـ فـادـحـةـ الـخـسـارـةـ إـنـ هـيـ ذـهـبـتـ دونـماـ اـهـبـالـ لـهـ أـوـ اـغـتـارـ لـمـعـيـنـهـ الـزـلـالـ الـفـيـاضـ .

ونحن الآن في مستقبل حـدـثـ عـظـيمـ وـفـرـصـةـ عـظـيـمةـ وـغـنـيـمةـ منـ فـاتـهـ لاـ يـقـدـرـ عـلـىـ اـسـتـرـجـاعـهـاـ مـنـ جـدـيدـ،ـ وـهـيـ لـيـلـةـ بـلـغـتـ قـيـمـتـهاـ وـرـفـعـتـهاـ أـنـ اـخـتـلـتـ فـيـهاـ كـلـ الـمـعـانـيـ ..ـ لـيـلـةـ "ـالـقـدـرـ"ـ أـيـ الشـرـفـ وـالـعـظـمـةـ،ـ وـقـدـ قـالـ إـلـيـمـ الشـوـكـانـيـ أـنـهـ قدـ قـيـلـ "ـسـمـيـتـ بـذـلـكـ لـعـظـيمـ قـدـرـهـ وـشـرـفـهـ،ـ مـنـ قـوـلـهـ :ـ لـفـلـانـ قـدـرـ،ـ أـيـ :ـ شـرـفـ وـمـنـزـلـةـ"ـ،ـ وـقـالـ عـنـهـ الزـهـرـيـ "ـقـيـلـ سـمـيـتـ بـذـلـكـ لـأـنـ لـطـاعـاتـ فـيـهاـ قـدـرـاـ عـظـيـماـ،ـ وـثـوابـاـ جـزـيـلاـ"ـ.

إنـهاـ لـيـلـةـ عـنـدـ أـهـلـ السـمـاءـ عـظـيـمةـ عـالـيـةـ الـقـدـرـ وـالـمـكـانـةـ،ـ تـزـاحـمـ الـمـلـائـكـةـ لـشـهـودـهـاـ وـالـاحـتـفـاءـ بـهـاـ،ـ كـمـاـ قـالـ الـخـلـيلـ:ـ "ـسـمـيـتـ لـيـلـةـ الـقـدـرـ؛ـ لـأـنـ الـأـرـضـ تـضـيـقـ فـيـهاـ بـالـمـلـائـكـةـ،ـ كـقـوـلـهـ :ـ {ـ وـمـنـ قـدـرـ عـلـيـهـ رـزـقـهـ }ـ [ـ الـطـلاقـ:ـ 7ـ]ـ أـيـ ضـيـقـ"ـ،ـ فـهـلـ هـيـ كـذـلـكـ عـنـدـ أـهـلـ الـأـرـضـ؟ـ وـهـلـ يـتـزـاحـمـ لـفـضـلـهـ الـمـؤـمـنـونـ فـيـ الـمـسـاجـدـ لـاـهـبـالـ تـلـكـ فـرـصـتـهاـ،ـ الـتـيـ حـبـاـ اللـهـ بـتـلـكـ الـمـكـانـةـ لـشـرـفـ هـذـاـ الـكـتـابـ الـعـظـيمـ الـذـيـ أـنـزـلـ فـيـهـاـ،ـ فـبـثـ الـخـيـرـ فـيـ رـبـوـعـ الـعـالـمـ،ـ وـابـرـىـ حـمـلـهـ يـنـشـرـونـ الـعـدـلـ وـيـتـسـامـونـ بـالـأـخـلـاقـ،ـ حـتـىـ غـدـتـ نـصـفـ

الأرض يوماً تنعم بالعدل انصياعاً لهذا الكتاب المنزل في هذه الليلة المباركة، فالله قد قدر فيها نزول هذا الكتاب . كما قال الماوردي - فاستأهلت سورة من كتاب الله تتلى إلى قيام الساعة تقديرأ ل شأنها وقيمتها.. وتلك وأيم الله فرصة ضائعة على كل عاصٍ لم يقدر الله حق قدره، ولم ينكسر ذلاً بين يديه في هذه الليلة المباركة، ولم يرفع كتاب الله منارة في كل شأن حياته "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" [المائدة : 15] .

هي ليلة القدر العظيم حادية إلى رضوان الله ومعيته وعزه عبوديته واللجوء إليه، هي ليلة تحيي موات قلوب حنت إلى نعمة تفيف ظلال هذا القرآن الهادي.. أوليست جديرة بأن تسكب فيها العبرات وتراجع فيها الحسابات في الأرض قبل الحساب؟ إنها ليلة ينبغي أن تكون لكتاب الله، كمنهاج للحياة وكدليل حائر في ظلمات الفتنة لا أن تكون مجرد تردیدات لآيات دون تدبر أو خشوع أو تفقة ومراجعة، وهكذا تهتيل الفرص ولا تضييع، حين تكون ليلة القدر نقطة تحول ومنعطف حياتي في دنيا كل إنسان مثلما كانت أول مرة نُقلة في الكون كله.. فهل ستضييع منا كما ضاعت عند الكثرين أسلافها؟ !

المصادر: